ثم ننتقل إلى تفسير سورة المدثر.

هذه السورة المكية باتفاق العلماء، وهي أول ما نزل بعد "اقرأ"؛ بل قال بعض العلماء: أول ما نزل بالنبوة "اقرأ" واول ما نزل بالرسالة ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

وهذا معنى قول بعض العلماء: نبأ ب"اقرأ" وأُرسل "بالمدثر".

بعض العلماء قال: أول ما نزل من القرآن المدثر، وليس مقصوده على الإطلاق، وإنما مقصوده أول ما نزل من القرآن بالرسالة المدثر، وأما "اقرأ" فإنها أول ما نزل بالنبوة، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم جاءه جبريل -عليه السلام- وهو غار حراء بسورة "اقرأ"، ثم فتر الوحي فترة، ثم كان أول ما نزل ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾.

بعدما نزل جبريل -عليه السلام- على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم وهو في غار حراء بسورة "اقرأ" فتر الوحي وانقطع فترة، فبينما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم يمشي- إذ سمع صوتًا من السماء؛ فرفع بصره، فإذا جبريل -عليه السلام- جالس على كرسي بين السماء والأر، فرُعب منه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم، وفزع، فرجع إلى أهله فقال:« زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فَزَمَّلُونِي، فأنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ} إلىٰ قَوْلِهِ: {فَاهْجُرْ} [المدثر: ١ - ٥] -قالَ أبو سَلَمَةَ: والرِّجْزَ الأوْثَانَ- ثُمَّ حَمِيَ الوَحْيُ وتَتَابَعَ»، كما ثبت في الصحيحين من حديث جابر بن عبدالله.

فهذا سبب نزول هذه السورة، وبيان أنها أول سورة أنزلت بعد سورة "اقرأ"، وأن من أطلق من العلماء من السلف أنها أول ما نزلت إنما قصده أنها أول ما نزل بعد فترة الوحي بالرسالة.

يتفضل الابن نور الدين -وفقه الله والسامعين- يقرأ لنا.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾[المدثر:١] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر:٢] ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾[المدثر:٣] ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[المدثر:٤] ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ﴾[المدثر:٥] ﴿وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ﴾[المدثر:٦] ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾[المدثر:٧]

في هذه الآيات العظام يخاطب الله نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم وينادية: يا أيها المتدثر بثيابه، المتغطي بها، فرقًا وخوفًا من رؤية جبريل جالسًا بين السماء والأرض، قُم مشمرًا عن ساق العزم بقوة، وأنذر الناس، معلمًا لهم غعلامًا مقترنًا بالوعيد والتهديد لمن خالف، مكبرًا ربك، معظمًا له

بالتوحيد، والبراءة من الشرك، والإخلاص له -سبحانه- في دعوتك، وآمرًا الناس جميعًا بتعظيمه وتكبيره بالتوحيد والإخلاص له، ولا يكبر الله إلا موحد، ولا يعظم الله إلا موحد، وكن طاهرًا في جميع أحوالك في قلبك، وعملك، ونيتك، وأخلاقك، طهر ثيابك من أن تلبسها على جسد عاصٍ لربه، وطهر ثيابك من النجاسات، وطهر ثيابك من أن تكون من كسب حرام، وطهر قلبك ونيتك من كل اعتقاد فاسد، وقصد فاسد، وعمل فاسد.

وطهر أخلاقك من كل خلق سيء، واترك المعاصي كلها ورأسها وأقبحها الإشراك بالله -عزَّ وجلَّ-.

واترك الأصنام والأوثان التي يعبدها قومك، وتبرأ منها، وأعطِ مما أعطاك الله لله -عزَّ وجلَّ-، فلا تعطي العطية تلتمس ردها أو خيرًا منها، ولا تضعف عن الخير أن تستكثر منه، ولا تستعظم العمل الذي تقوم به.

وكن مستصحبًا الصبر لربك ثقة به، ويقينًا به، وابتغاء الثواب منه، فتصبر على الدعوة، وعلى الثبات على الحق، وعلى ما تلقاه بسبب ذلك ثقة بربك، ويقينًا بربك، ورجاء ما عند ربك، وإخلاصًا لربك -سبحانه وتعالى-.

وهذا الخطاب للنبي صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم، ويتبعه في ذلك كل مؤمن يدعو إلى الله -سبحانه وتعالى-، يخاطب بهذه الآيات.

(المتن)

قال الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي -رحمه الله تعالى وغفر له ولشيخنا وللسامعين-: تقدم أن المزمل والمدثر بمعنىً واحد.

(الشرح)

والمدثر أصلها: المتدثر، أي: لَبِس ثيابًا فوق ثياب، يتغطى بها، فلبس ثيابًا تلي جلده وتلي جسمه، وهذه تسمى شعارًا، ولبس ثيابًا فوقها، وهذه تسمى ديثارًا. إذًا التدثر يدل على لبس ثياب فوق ثياب؛ لأن الديثار هو الذي يكون فوق الشعار، والشعار هي الثياب التي تلي الجسم.

ومعنى ذلك: أنه تغطى بثيابه، وتلحف بها، ولبس ثيابًا فوق الثياب.

(المتن)

قال -رحمه الله-: وأن الله أمر رسوله صلىٰ الله عليه وسلم، بالاجتهاد في عبادات الله القاصرة والمتعدية، فتقدم هناك الأمر له بالعبادات الفاضلة القاصرة، والصبر علىٰ أذىٰ قومه، وأمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: {قُمِ} [أي] بجد ونشاط.

(الشرح)

وقوة، لابد من وصف القوة، النذارة والدعوة لابد أن يؤخذ فيها الأمر بقوة، لابد من الجد، ولابد من النشاط، ولابد من القوة.

لابد من هذه الأمور الثلاثة، وإلا تنحل الدعوة، ولا يستطيع الإنسان أن يستمر ويثبت على دعوته إلى الله -سبحانه وتعالى-.

(المتن)

{فَأَنْذِرْ} الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعىٰ لتركه.

(الشرح)

فالإنذار: إعلام بدليل مع تهديد.

(**{فَأَنْذِرْ}**)، **أي**: أعلمهم بالدليل بالوحي مع التهديد بالعذاب لمن لم يطع.

(المتن)

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته.

(الشرح)

أي: عظمه بالتوحيد، وأمر الناس بتعظيمه بالتوحيد.

والموحد الصادق لابد أن يدعو إلى التوحيد، الموحد الصادق لابد أن ترى في كلامه الدعوة إلى التوحيد، حتى العامي يحب أن يذكر التوحيد، ويحب أن يدعو إلى التوحيد، فسمة الموحد الصادق أنه يدعو إلى التوحيد، ويظهر التوحيد في كلامه.

(المتن)

{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}.

(الشرح)

({وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}):

قيل معناها: لا تلبس ثيابًا من غير كسب طيب.

وقيل: طهر ثيابك من النجاسات بغسلها بالماء.

وقيل: قصر ثيابك؛ حتى لا تصيبها النجاسات، وحتى تطهر قلبك من الكبر.

وقيل: طهر ثيابك من أن تكون نظيفة على جسد خبيث، أي: طهر ثيابك من أن تكون على جسد يعصي الله، وكم من نظيف ثياب على جسد مليء بالمعاصي.

وقيل: طهر قلبك ونيتك.

وقيل: طهر أخلاقك.

ولا مانع من إرادة كل هذا؛ بل هذا هو الأصل أن يُحمل القرآن على جميع المعاني المحتملة الصحيحة، ما دام يمكن جمعها.

(المتن)

قال -رحمه الله-: يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها علىٰ أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته.

ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة.

ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورًا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن.

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل.

(الشرح)

انتبهوا! هنا تنبيه ينبه عليه العلماء، وهو: أن الأمر بالترك لا يلزم منه أن يكون المأمور به كان فاعلًا لما أُمِر بتركه، فالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم عندما تقال هذه المعاني لا يلزم من ذلك أنه ما كان يترك هذا، وأنه كان يفعل هذا.

(المتن)

-**قال -رحمه الله-**: ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرًا له بترك الذنوب، صغارها وكبارها ، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك فما دونه.

{وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} أي: لا تمنن علىٰ الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية.

(الشرح)

هذه ذكره بعض أهل العلم، وهو: أن لا تمنن على الناس بالنبوة، ولا تمنن عليهم بما تعطيهم من أموال.

ولا شك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم ما كان يمُن، ولكن قلنا إنه لا يلزم من الأمر بالترك أن يكون المأمور بالترك فاعلًا لضده، أو فاعلًا لما أُمر بتركه، ما يلزم.

(المتن)

أي: لا تمنن علىٰ الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر بتلك المنة، وترىٰ لك [الفضل] عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلىٰ الناس مهما أمكنك، وانس [عندهم] إحسانك، واطلب أجرك من الله تعالىٰ واجعل من أحسنت إليه وغيره علىٰ حد سواء.

وقد قيل: إن معنىٰ هذا، لا تعط أحدا شيئا، وأنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه.

(الشرح)

هذا جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-، هذا المعنى جاء عن ابن عباس -رضي الله عنهما-.

(المتن)

فيكون هذا خاصًا بالنبي صلىٰ الله عليه وسلم.

(الشرح)

أي: من جهة المنع، أي: أن المسلم يجوز أن يهدي هدية رجاء أن يهدى مثلها، أما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم فممنوع من هذا.

هذا معنى أن هذا خاص بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم.

وقيل معنى الآية: لا تضعف أن تستكثر من الخير، "لا تمنن" أي: لا تضعف أن تستكثر من الخير.

وقيل معناها: لا تستعظم عملك، وتراه كبيرًا كثيرًا، فتضعف عزيمتك.

الإنسان إذا رأى أنه مجتهد في الطاعة، ورأى أن عمله كثير، هذا يجعل عزيمته تضعف، بعض الناس ديدنه أن يقول: أنا أحسن من غيري، أنا أصلي في المسجد وغيري يصلي في البيت، أنا كذا، أنا كذا، أنا كذا، هذا إذا دار على النفس يجعل النفس تعجب بالعمل، والعجب بالعمل ضا جدًا، ثم إنه يضعف العزيمة، ويجعل الإنسان يبدأ يتساهل، أنا أحسن من غيري؛ فيبدأ يتساهل في بعض الذنوب، في ترك بعض الأشياء، تفتر عزيمته، تقل همته؛ ولذلك دائمًا اعتبر نفسك أقل الناس اجتهادًا، وقل لنفسك: الناس سبقوني إلى الجنة، أنا آخر الركب، أنا أسير أعرج وراء الناس، حتى تقوى العزيمة، وتقوى الهمة، وتستمر على الطاعة.

(المتن)

{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} أي: احتسب بصبرك.

(الشرح)

احتسب بصبرك على الطاعة، وعلى الدعوة، وعلى الجهر بالحق، وعلى أذى المخالفين.

الطاعة والدعوة والجهر بالحق والصبر على أذى المخالفين.

(المتن)

أي: احتسب بصبرك، واقصد به وجه الله تعالىٰ، فامتثل رسول الله صلىٰ الله عليه وسلم لأمر ربه، وبادر فيه، فأنذر الناس، وأوضح لهم بالآيات البينات جميع المطالب الإلهية، وعظم الله

تعالىٰ، ودعا الخلق إلىٰ تعظيمه، وطهر أعماله الظاهرة والباطنة من كل سوء، وهجر كل ما يبعد من دون الله وما يعبد معه من الأصنام وأهلها، والشر وأهله.

(الشرح)

عندما تسمعون هذه الجملة استحضروا ما ذكرناه من التنبيه الذي نبه عليه العلماء، فهذا ما يعني أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم كان يعبد الأصنام قبل.

(المتن)

وله المنة علىٰ الناس -بعد منة الله- من غير أن يطلب منهم علىٰ ذلك جزاء ولا شكورًا، وصبر لله أكمل صبر، فصبر علىٰ طاعة الله، وعن معاصي الله، وعلىٰ أقداره المؤلمة، حتىٰ فاق أولي العزم من المرسلين، صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

(الشرح)

فهو صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم أشرف الانبياء والمرسلين، وأشرف أولي العزم من الأنبياء والمرسلين.

ونبهت مرارًا على أن هذا التفضيل لا يعني نقصًا في المفضل عليه، ولا يجوز للمسلم أن يعتقد نقصًا في نبي من الأبياء، وإنما هذا تفاضل في الكمال، والتفاضل في الكمال لا يستلزم النقص، ومن ظن عند التفضيل نقصًا في نبي من الأنبياء حَرُمَ عليه أن يفضل.

قال -تعالى-: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾[المدثر:٨]﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[المدثر:٩]﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[المدثر:١٠].

لما تقدم الأمر بالإنذار، وقلنا إن الإنذار: إعلام بفعل خير، أو ترك شر، مع وعيد وتهديد، جاء هنا الوعيد والتهديد، فإذا أذن الله بزوال الدنيا، وقيام القيامة، فنُقر في الناقور، أي: نفخ في الصور الذي هو كهيئة القرن للقيام من القبور في ذلك اليوم العسير الشديد، في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، في يوم أهواله عظيمة، فهو على الكافرين غير سهل بوجه من الوجوه، فيبلغ منهم الفزع منتهاه، ويأسون من كل خير، ويوقنون بعذاب الله -عزَّ وجلَّ-. أما أهل الإيمان فيخفف عليهم، ويهون عليهم، ويقصر وقته بالنسبة إليهم، فهم من فزع يومئذ آمنون.

(المتن)

قال -رحمه الله-: أي: فإذا نفخ في الصور للقيام من القبور، وجمع الخلائق للبعث والنشور.

(الشرح)

ومن أسماء الصور: الناقور، والنقر أصله: هو الصوت، فلكون الصور الذي على هيئة قرن يصدر صوتًا عظيمًا مفزعًا إذا نفخ فيه الملك بأمر الله -عزَّ وجلَّ- سمي ناقورًا، أي: من الصوت المفزع الفظيع؛ لأن أصل النقر هو الصوت.

(المتن)

{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ}.

(الشرح)

({عَسِيرٌ})، أي: بالغ الشدة.

(المتن)

لكثرة أهواله وشدائده.

{عَلَىٰ الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}.

(الشرح)

أي: غير سهل ولا هين أبدًا بوجه من الوجوه.

(المتن)

لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار. ومفهوم ذلك أنه علىٰ المؤمنين يسير، كما قال تعالىٰ: {يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}.

(الشرح)

وهذه فائدة قول الله -عزَّ وجلَّ-: ({عَلَىٰ الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ})؛ لأن الناظر ﴿فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ﴾[المدثر:٩] ﴿عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾[المدثر:١٠]، إذا نظرت هنا {عَسِيرٌ}، و{غَيْرُ يَسِيرٍ}، كأنها تكرار.

ولذلك بعض العلماء قال: هذا للتأكيد، وليس كذلك، هذا لبيان أنه إنما هو عسير على الكافرين، أما المؤمنون فيهونه الله عليهم، ويسهله الله -عزَّ وجلَّ- عليهم.

إذًا هذه الجملة ليست تكرارًا، وإنما لها فائدة جديدة، وهي: بيان أن هذا العسر إنما هو على الكافرين، أما المؤمنون فربهم -سبحانه- ييسر عليهم ذلك اليوم.

قال -تعالى-: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر:١١] ﴿وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا﴾[المدثر:١٢] ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾[المدثر:١٣] ﴿وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا﴾[المدثر:١٤] ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾[المدثر:١٥] ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا﴾[المدثر:١٦] ﴿سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا﴾[المدثر:١٧] ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾[المدثر:١٨] ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[المدثر:١٩] ﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾[المدثر:٢٠] ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾[المدثر:٢١] ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾[المدثر:٢٢] ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾[المدثر:٢٣] ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ﴾[المدثر:٢٤] ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٥] ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾[المدثر:٢٦] ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾[المدثر:٢٧] ﴿لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ﴾[المدثر:٢٨] ﴿لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ﴾[المدثر:٢٩] ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾[المدثر:٣٠].

«أنَّ الوليدَ بنَ المغيرةِ جاء إلىٰ النَّبيِّ صلَّىٰ اللهُ عليه وسلَّم فقرأ عليه القرآنَ فكأنَّه رقَّ له، فبلغ ذلك أبا جهلٍ فأتاه فقال: يا عمِّ إنَّ قومَك يريدون أن يجمعوا لك مالًا ليُعطوكه، قال: لقد علمت قريش أني من أكثرها مالًا».

أي: غير معقول أنهم يجمعون لي المال؛ ليعطوني المال، هم يعرفون أني أنا أكثرهم مالًا، إذًا هناك أمر غير هذا.

قال: «فقال أبو جهل: فقُلْ فيه»، أي: في محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم.

«قال: فقُلْ فيه قولًا يبلغُ قومَك أنَّك منكِرٌ له وأنَّك كارهٌ له. فقال: وماذا أقولُ»، أي: لا أجد ما أقول.

«قال: لا يرضىٰ عنك قومك حتىٰ تقول فيه. قال: فدعني حتىٰ أُفكِّر. فلما فكَّر قال: هذا سحرٌ يُؤثر؛ يَأْثُره عن غيره»، وإلا فهو ليس بساحر.

«فجمع الْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ قريشًا، وصَنَعَ لهم طَعَامًا فَلَمَّا أَكَلُوا قَالَ: مَا تَقُولُونَ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَقَالَ بَعْضُهُمْ: سَاحِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بساحرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: كَاهِنٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بكاهنٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: شَاعِرٌ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ بشاعرٍ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ -أي الوليد-: سِحْرٌ يُؤْثَرُ،

فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَىٰ أَنَّهُ سِحْرٌ يُؤْثَرُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «فَحَزِنَ وَقَنَعَ رَأْسَهُ، وَتَدَثَّرَ»، فقال الله -عزَّ وجلَّ- مسليًا لنبيه صَلَّىٰ اللهُ عَليهِ وَسَلَّم، ومتوعدًا الوليد بن المغيرة، وذامًا له ذمًا شديدًا ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾[المدثر:١١]».

أي: اتركني ومن خلقت ولا خالق له غيري، خلقته وحيدًا حيث خرج من بطن أمه، لا مال له، ولا ولد له، ولا عز له، ورزقته المال الكثير والأولاد الكثيرين الحاضرين، ما غابوا عنه، يأتمرون بأمره، ويشركونه في شأنه، يأنس بهم، ويسر بهم، ويستعين بهم، ومكنته من صنوف المال، وهيأت له ما يحتاج في حياته، ومع ذلك ما شكرني؛ بل هو طماع مغترٌ، يطمع أن أزيده من النعم مع كفره، كلا إن ذلك لا يكون، إنه كان لآياتنا مخالفًا، غير منقاد لها مع معرفتها.

ولذلك سأصيبه بمشقة شديدة من العذاب، ومن ذلك: أن يكون من عذابه في جهنم أن يكلف بأن يصعد على صخرة ملساء من النار، فإنه فكر وأعمل ذهنه وقدر قولًا يقوله في القرآن؛ ليرضي قومه، فلعن وعُذِبَ، **كيف دبر ذلك الكلام الذي يعلم كذبه؟**

هو يعلم أنه كاذب، لُعن وعُذب، كيف دبَّر هذا الكلام؟! ثم اعاد نظره مرة أخرى، وتروى، ثم قطَّب جبينه، وقبض ما بين عينيه، ثم عبس وجهه، واسود وجهه، ثم أدبر عن الحق مستكبرًا عنه، فقال: ﴿إِنْ هَذَا﴾، أي: القرآن لسحر ينقله محمد عن غيره من السحرة {إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ}﴾، ليس من كلام الله -سبحانه-.

فتوعده الله، سأغمره من جميع جهاته في سقر، أي: في النار، فيدخلها، ويقاسي حرها، وأحرقه بالنار.

ثم قال الله تهويلًا لأمرها، وبيانًا لفظاعة شأنها: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾، لا تبقي لأهلها شيئًا إلا وصلته، وأحرقته، وأنضجته، فتحرق كل شيء فيهم، وكلما أحرقت شيئًا منهم جُدِد، فيبقى أهلها في عذاب دائم لا يخف عنهم بالتعود، وهي لواحة للبشر، محرقة للجلود، فتغيرها وتنضجها.

(المتن)

قال -رحمه الله-: هذه الآيات، نزلت في الوليد بن المغيرة، معاند الحق، والمبارز لله ولرسوله بالمحاربة والمشاقة، فذمه الله ذمًا لم يذم به غيره، وهذا جزاء كل من عاند الحق ونابذه، أن له

الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أخزىٰ، فقال: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} أي: خلقته منفردًا، بلا مال ولا أهل، ولا غيره، فلم أزل أربيه وأعطيه.

(الشرح)

هكذا فسر كثير من العلماء "وحيدًا" بأنه: الوليد عندما ولد كان وحيدًا.

وقيل معنى (﴿وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾)**:** أني خالقه وحدي، لا خالق له غيري.

وهذا يتضمن التهديد، فإن الذي خلقه قادر عليه.

وقيل المعنى: ذرني وحدي ومن خلقت، فأنا أتكفل به، وأعذبه العذاب الشديد.

والأظهر والأقرب: هو الأول، وهو الذي ذكره الشيخ.

(المتن)

{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا} أي: كثيرًا.

(الشرح)

أي: كثيرًا واسعًا.

وقال بعض العلماء "ممدودًا"، أي: غير منقطع؛ بل يزداد، فهو يمد شيئًا فشيئًا.

أي: ممدودًا على هذا المعنى من الإمداد، جعلت له مالًا يمد شيئًا فشيئًا، فهو كما يقولون بتعبيراتهم اليوم مال نامي ينمو، يزدادوا شيئًا فشيئًا.

(المتن)

{و} جعلت له {بنين} أي: ذكورًا {شُهُودًا} أي: دائمًا حاضرين عنده، [علىٰ الدوام] يتمتع بهم، ويقضي بهم حوائجه، ويستنصر بهم.

(الشرح)

هم حاضرون عنده، فلا ينشغل قلبه عليهم، ويأنس برؤيتهم، وينتفع بوجودهم، وهذه تمام النعمة بالولد.

(المتن)

{وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا} أي: مكنته من الدنيا وأسبابها، حتىٰ انقادت له مطالبه، وحصل له ما يشتهي ويريد، {ثُمَّ} مع هذه النعم والإمدادات {يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} أي: يطمع أن ينال نعيم الآخرة كما نال نعيم الدنيا.

(الشرح)

هذا وجه.

وقيل: يطمع أن أزيده من المال مع كفره. وكلا المعنيين صحيح.

(المتن)

{كَلَا} أي: ليس الأمر كما طمع، بل هو بخلاف مقصوده ومطلوبه، وذلك أنه {كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}.

(الشرح)

معنى ﴿عَنِيدًا﴾: مخالفًا.

(المتن)

عرفها ثم أنكرها، ودعته إلىٰ الحق فلم ينقد لها ولم يكفه أنه أعرض وتولىٰ عنها، بل جعل يحاربها ويسعىٰ في إبطالها، ولهذا قال عنه: {إِنَّهُ فَكَّرَ} [أي:] في نفسه {وَقَدَّرَ} ما فكر فيه، ليقول قولا يبطل به القرآن.

(الشرح)

ويذم به محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم.

(المتن)

{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ}.

(الشرح)

{فَقُتِلَ}، معناه: لُعِن وعُذب.

(المتن)

{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} لأنه قدر أمرًا ليس في طوره، وتسور علىٰ ما لا يناله هو و [لا] أمثاله.

(الشرح)

وقال قولًا يعلم كذبه.

(المتن)

{ثُمَّ نَظَرَ} ما يقول.

(الشرح)

أي: تروى، واعاد النظر لِيُحْكِمَ ما يقول.

(المتن)

{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}.

(الشرح)

قيل معنى ﴿وَبَسَرَ﴾: اسود وجهه.

وقيل: ظهرت أسنانه من شدة العبوس، أي: انكمش جلد وجهه حتى ظهرت أسنانه من شدة عبوسه، وهذا يعني من شدة تفكيره حتى يُحْكِم ما يقول؛ ليبطل به القرآن، ويذم به محمدًا صَلَّى اللهُ عَليهِ وَسَلَّم.

(المتن)

{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} في وجهه، وظاهره نفرة عن الحق وبغضًا له، {ثُمَّ أَدْبَرَ} أي: تولىٰ.

(الشرح)

تولى عن الحق بعد أن عرفه بعدما سمع القرآن.

(المتن)

{وَاسْتَكْبَرَ} نتيجة سعيه الفكري والعملي والقولي.

(الشرح)

أي: أن توليه عن الحق إنما هو استكبار، استكبار عن الحق، وإلا فهو قد عرف الحق.

(المتن)

فقال: {إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}.

(الشرح)

أي: يأخذه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم عن غيره؛ لأنه يعرف أنه لو قال إنه ساحر الناس يعرفون أنه ليس ساحرًا، فقال: لا، هذا الذي أتى به سحر يأخذه عن غيره من السحرة.

(المتن)

{إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ الْبَشَرِ} أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضًا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار.

فتبا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!!

كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير أي إنسان، أن يكون أعلىٰ الكلام وأعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟!

أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، علىٰ وصفه بهذا الوصف لكلام الله تعالىٰ.

فما حقه إلا العذاب الشديد والنكال، ولهذا قال تعالىٰ: {سَأُصْلِيهِ}.

(الشرح)

(**{سَأُصْلِيهِ}**)، أي: سأدخله وأغمره فيها، وأذيقه شدة حرارتها، وأشويه فيها.

سقر: اسم من أسماء النار.

وقيل: اسم طبقة من طبقات النار.

قيل أن سقر اسم من أسماء النار كجهنم. وقيل أن سقر: اسم طبقة من طبقات النار.

(المتن)

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾.

(الشرح)

هذا أسلوب يدل على التهويل والتعظيم، أن تقول وما أدراك كذا، هذا عند العرب أسلوب يدل على التهويل والتعظيم.

(المتن)

{لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ} أي: لا تبقي من الشدة، ولا علىٰ المعذب شيئًا إلا وبلغته.

(الشرح)

({لا تُبْقِي})، أي: من جهة الشـدة لا تبقي شـيئًا؛ بل هي في غاية الشـدة، ولا تبقي شـيئًا من المعذبين إلا وصلته وأحرقته، وأنضجته، ولا تحرق شيئًا إلا يبدله الله -عزَّ وجلَّ- جديدًا.

(المتن)

{لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ} أي: تلوحهم [وتصليهم] في عذابها، وتقلقهم بشدة حرها وقرها.

(الشرح)

هذا على أن البشر: الناس؛ ولذلك قال الشيخ: تلوحهم، أي تغير هيئاتهم.

تلوحهم، أي: البشر.

([وتصليهم] في عذابها)، أي: يحرقون في عذابها.

(وتقلقهم بشدة حرها وقرها)، أي: النار.

وقيل المعنى: أنها تلوح لأصحابها، أي: تظهر لأصحابها وهم في الموقف.

وقيل البشـر هنا: جمع بشرـة، أي: الجلد، فهي تحرق الجلود وتنضـجها. لعلنا نقف عند هذه النقطة، ونكمل في درس الغد -إن شاء الله عزَّ وجلّ-.

(الأسئلة)

السؤال: إذا كبر الإمام في صلاة الجنازة ثلاث تكبيرات، ماذا يفعل المأموم؟

الجواب: الإمام بشر- ينسى كما ينسى البشر-، ولا يعاب الإمام بنسيانه، وهذا من حكم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّم نسي- في بعض صلواته؛ ليعلم الناس أن الإمام لا يعاب إن نسي-، ولا يجوز أن يطلق فيه اللسان، ثم إن حصل هذا فإن المأموم يكبر التكبيرة التي نسيها الإمام، وإن لم يكن قد أتى بذكرها يأتي بذكرها، ثم يسلم.

وهذا الذي فعلناه عندما حصل، حصل مرتين:

مرة الإمام نسي- التكبيرة الرابعة وما تذكر أصلًا، وأئمتنا لهم فضل علينا، جزاهم الله عنا خير الجزاء، وهم بشر، والذي يحمل هم الصلاة ينسى كثيرًا، الصلاة كونك تصلي بالناس ليس أمرًا هينًا، الإمام إذا تقدم إلى المحراب يحس برهبة مهما طال زمن إمامته؛ لأنه يحمل الناس في أمر عظيم في أهم أعمالهم في الصلاة، وهو في كل وقته يراجع ما سيقرأ -فجزاهم الله عنا خير الجزاء-.

فمرة نسي أحد أئمتنا وما تذكر أصلًا، فكبرنا وكنا قد أتينا بالذكر وسلمنا.

ومرة إمامنا نسي- تكبيرة، ثم تذكر فاعاد الصلاة -والحمد لله-، ومع ذلك قبل الإعادة كنا كبرنا وسلمنا. فهذا الذي يفعله المأموم في هذه الحالة.

السؤال: يسأل عن خروج المعتكف للعمرة؟

الجواب: هذا طماع، إما اعتكاف وإما عمرة، ما يجوز أن يخرج المعتكف للعمرة، إذا خرج انقطع اعتكافه، فإن كان نذره واجبًا يحرم عليه أن يخرج، أي: إذا كان نذرًا، إذا كان اعتكافه نذرًا يحرم عليه أن يخرج.

أما إذا كان تطوعًا إذا خرج انقطع اعتكافه؛ لكن هذا الأخ واضح من سؤاله يريد أن يعتكف ويخرج إلى العمرة ويرجع وما ينقطع اعتكافه، لا ما يصلح هذا.

السؤال: سرق سلك كهرباء من شركة منذ سنين، واستعمل هذا السلك في بيته، والآن تاب وهو يريد أن يخلص نفسه؛ ولكن الشركة سافرت كلها وتركت البلد، فماذا يفعل؟

الجواب: إذا أخذ الإنسان مالًا لغيره، ثم تاب من هذا، ماذا يصنع؟

إن كان يعرفه، ويتيسر له أن يوصل المال إليه، وجب عليه أن يوصل المال إليه، ولا يلزم أن يخبره أنه سرقه؛ بل يمكن أن يضعه في ظرف، ويكتب عليه: هذا مال كان لك عند أحد إخوانك -غفر الله له-، فقط، ويضع له في السيارة، يضعه له تحت الباب، يضعه له في مكان.

ولا بأس من أن يستخدم التورية والتعريض هنا، فيجعل ولده يعطيه هذا الظرف، ثم يذهب لأخيه ويقول: في إنسان أعطاني هذا الظرف ويقول أن هذا المال لك، وأنه أخذه منك من زمان ويرده إليك، ما في بأس، ما يلزم أن يفضح نفسه، ويخبر عن نفسه؛ لكن يرده.

فإن كان لا يعرفه أو لا يتيسر له أن يصل إليه، هو يعرفه لكنه ذهب ولا يدري أين هو، فإنه يقدر قيمته، ويتصدق بها بنية صاحبه.

السؤال: هل الطعام المطبوخ في سنام الإبل ينقض الوضوء؟

الجواب: نعم، ينقض الوضوء على الراجح من أقوال العلماء.

نسأل الله -عزَّ وجلَّ- أن يتقبل مني ومنكم، وأن يجعلني وإياكم من عباده الصالحين.

يا إخوة وصية: ليلة من ليالي العشر مضت، وأسرع ليالي تمر على الإنسان على الإطلاق هي العشر الأواخر من رمضان، والله ستمضي سريعًا.

وصيتي لنفسي ولإخواني: كلما نقصت ليلة زدنا اجتهادًا، كلما نقص شيء من عشرنا زدنا اجتهادًا لعلنا أن نكون من الفائزين.

والله -تعالى- أعلى وأعلم، وصلى الله على نبينا وسلم.